



«تيريزا ماي تقدم مصالح المحافظين على مصالح البلاد بمحاولة الاستفادة من ضعف حزب العمال المعارض لإقرار جدول أعماله من خلال دعوة مبكرة للانتخابات».

نيكولا ستيرجن  
رئيسة وزراء اسكتلندا

«خطوة ماي تشبه أفلام الإثارة والتشويق : لقد كان هيتشكوك، الذي أخرج فيلم «بريكت» (خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي)، الزلزال في البداية ثم تصاعد التوتر».

دونالد تواسك  
رئيس المجلس الأوروبي

## العالم في عصر العولمة: الشعبوية لمواجهة الإسلاموية

● الغرب يعتمد استراتيجية لا تحصر عدوك عند الزاوية ● المشهد الإسلامي مشهد براغماتي بامتياز



### الإسلاموفوبيا من مظاهر الشعبوية الحديثة

فبات الإخوان المسلمون يؤسلمون أوروبا، ويملكون لوبيا نافذاً أخترق أعلى مراكز القرار في أوروبا، فيما تقوم الأحزاب الشيوعية الإسلامية بتبني مشروع تشييع أسلمة أفريقيا ساعية لتكريس مفاهيم الدول الدينية في الشرق الأوسط، في حلم بنشر سلطة ولاية الفقيه على أوسع مساحة جغرافية ديموغرافية جيوسياسية ممكنة.

آية الله خميني وهو ينزل من الطائرة الفرنسية ويده على كتف طيارها ليسقط إمبراطورية شاه إيران محمد رضا بهلوي وهو مازال في السلطة وفي أوج قوته، هكذا بكل بساطة بعد أن سحبت الولايات المتحدة بشكل غامض البساط من تحت قدمي الشاه أقرب حلفائها في المنطقة لسبب مازال مجهولاً. اليوم وفي عصر العولمة تنامت قدرات القوى الإسلامية،

الكونية قد تؤدي فعلا إلى فناء العدو ولكنها في الوقت نفسه قد تغيب عن ناظر (التيار الشعبوي) استشراف ما وراء أكمة المد الإسلامي الأصولي من مخاطر.

المشهد الإسلامي مشهد براغماتي بامتياز، إذ نجح في دمج الخطاب الشعبوي بصناعة نخبة سياسية جديدة خرجت من منابر المساجد والحسينيات والتكايا. الإسلامية السنية، ممثلة في الإخوان المسلمين، هي السابقة تاريخياً، لكن الإسلاموية الشيعية وتصدير الثورة هي نتاج حركة العلماء في إيران التي نشطت مطلع القرن العشرين وبلغت أوجها إبان ثورة مصدق، وبالتالي هي سابقة تاريخياً للإسلاموية السنية أو معاصرة لها.

### صناعة غربية مقصودة

بنفس الاتجاه، يمضي مرشد الإخوان المسلمين في تركيا رجب طيب أردوغان، مصمماً كما يبدو على أن يصنع جمهورية إسلامية سنية تركية تنافسها عن علمانية أتاتورك، وسنرى قريباً مصانع إنتاج الشيوخ تنتشر من مناطق غازي عينتاب وديار بكر إلى ما حولها.

وأبرز الاستفتاء على التعديلات الدستورية بوضوح الانقسام المجتمعي الحاد في هذا البلد، فالمدن وضمنها العاصمة أنقرة وإسطنبول تقف ضد المشروع الإسلامي، وتؤيد أتاتورك ونهجه، فيما الريف وأقاليمه مع مشروع أردوغان بشكل مطلق. وهذا يطابق تماماً المشهد في إيران، فسكان المدن هم من قادوا الثورة الخضراء عام 2009، وسكان الريف يدعمون التيار المحافظ والانقسام المجتمعي ما يرح يتعمق.

ويعزو الكثيرون هذا التوتر القائم إلى نظرية المؤامرة، ويضعون العرب في موقع المنتج للتباين، الإسلامي والشعبوي على حد سواء. ويرى أحمد خالص الشعاع «أن الغرب قادر باستمرار على اختلاق قوى تدير له لعبة الأمم في المنطقة دون أن تدري تلك القوى أن الغرب هيا لها الحاضنة والعوامل الموضوعية لظهورها. وهكذا خلقت جماعة الإخوان وحزب الدعوة وتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية والعشرات من التنظيمات الشبيهة في سوريا والعراق».

لعل قمة الغموض تتجسد في التشابه بين الإسلامويين والشعبويين، تشابه يراه البعض بمستوى التداخل في المواقف والتوقعات، فحين هاجمت سلطات الحكومات العربية الإسلامويين وطاردتهم، لجأوا إلى الغرب، ولا عجب أن نجد قيادات الإخوان المسلمين والقيادات الشيعية الإسلامية ما زالت محترمة مرفهة تعيش في الغرب، بل إن الغرب ما يرح يشن حرباً إعلامية ضد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي لأنه يحارب الإخوان. ولا أحد ينسى تلك الصورة التاريخية لرجل الدين

فجأة وجد العالم نفسه وقوداً لحروب التيارات الإسلامية ضد الحضارات والتي نضت ثوب تحضرها لتعود إلى الشعبوية فتدافع عن نفسها. فاز أردوغان في تركيا ليكرس بذلك قوة الإخوان المسلمين إلى جانب قوة الجمهورية الشيعية في إيران. إزاء ذلك علا صوت الجبهة الشعبوية من مواقع الدفاع المحتملة.

ولدت «الجمهورية الإسلامية في إيران». حل إسلاموي سني وآخر شيعي والعالم الشعبوي الشيعوي بدأ ينهار، فحُسم الصراع الديالكتيكي بين التدين والإلحاد لصالح التدين، وكان الغرب كان متديناً آنذاك. وانتصرت جبهة لمحاربة الإسلامية. وتحدث لؤي المدون المتخصص في الشأن الإسلامي في الصحافة الألمانية لـ «العرب» مبيناً أن «الصعود الإسلامي أسباباً متعددة. لكن لا شك أن خطابات الإسلام السياسي تتشابه مع الخطابات الشعبوية السائدة في أوروبا الغربية حالياً، فهي معادية للنخب الحاكمة الفاسدة، كما تدعي احتكار تمثيل الشعب بشكل قطعي. كما يجب أن لا ننسى أن أطروحات الإسلام السياسية تبقى تبسيطية وعاطفية ولا تقدم حلولاً مقنعة لتحديات وإملاءات الواقع».

لكن تنامي المد الإسلامي أحدث شرخاً في المجتمع الغربي أيضاً فباتت النخب تغرد في جانب، وغالبية الشعوب تغرد في جانب آخر. ورأينا خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وخيار بريكت الذي عده الكثيرون عنواناً لهذه الشعبوية، وظهور خيرت فيلدز في هولندا ومارين لوبس في فرنسا، وفي ألمانيا فراوكهيتري وحزبها البديل من أجل ألمانيا، وتيارات يمينية في إسبانيا واليونان وأوروبا الشرقية.

وسطع الانقسام بانتخاب الشعب الأميركي الرئيس دونالد ترامب. وأشدد هنا على أنه رئيس منتخب وهذا هو عين ما نحن فيه. وبتنا نرى مواجهة مقبلة لا هوادة فيها بين الشعبوية والشعبوية أولاً. فترامب يرى في رئيس كوريا الشمالية الشيعوي الشعبوي خصماً لدوداً قد يخوض حرباً نووية للخصم عليه، وليس واضحاً كيف سيجري هذا لكن التصعيد يمضي قدماً.

والباحث أحمد خالص الشعاع استبعد هذا السيناريو مبيناً أن المواجهة الكونية مكلفة للعالم الغربي، وأظن أن ليست الولايات المتحدة لوحدتها وإنما الغرب كله تقريباً يعتمد على استراتيجية ديناميكية مفادها «لا تحصر عدوك عند الزاوية. فمع أن المواجهة

ملهم الملايكة  
كاتب عراقي

□ بون (ألمانيا) - نجحت الشعبوية في أن تتخذ شكلاً تحكم من خلاله متخذة نموذجاً التجربة الشيوعية. خاطب قادة الشيوعية الفاسدون المتسلحون بمبادئ كارل ماركس المثالية النبيلة مشاعر الشعوب، بخطاب جعل من حاجات الناس تجارة رابحة في العالم الاشتراكي. فكانت أزمات اللحوم والبيض والوقود والكهرباء (المستمرة حتى الآن في كوريا وفيتنام وكوريا الشمالية) والمكاييح وسروال الجينز عنواناً لعصور القحط أتت صناعتها بسياساتهم الشعبوية الرخيصة. وتبع كل ذلك تساقط القيم الفكرية والفنية والروحية. فالمجتمعات الشيوعية سيطرت عليها مشاعر شعبية أقصت كل إبداع أو وعي ممكن. وباتت دول أوروبا الشرقية جمهوريات بدائية تدنت فيها قيمة الإنسان.

في هذه المرحلة بالذات، ابتكر المعسكر الرأسمالي حرباً على الشيوعية بسلاح بسيط غير مكلف ولا يحتاج إلى قنوة أو تشريعات، فجاء شعراً «الإسلام هو الحل» ليجعل من الإسلام سلاحاً يتسلح به الإسلاميون في حروبهم وصراعاتهم التدميرية عبر العالم.

### التاريخ مغاير لمعطيات الأرض

قد يعترض البعض على التسلسل التاريخي في هذا السياق، لأن الإخوان المسلمين كحركة بدأت قبل هذا التاريخ، لكن ما جرى على الأرض أن التجربة السوفيتية في أفغانستان كشفت عن العجز الشعبوي الذي وصل إليه المعسكر الشيوعي، فكانت ضرورة التاريخ وحتميته الديالكتيكية، بلغة الماركسية، أن يطالع الضد الذي سيصارع الشعبوية من أفغانستان.

ويظهر على سطح الأحداث أسامة بن لادن و«المجاهدون» وهم التطبيق الوحشي السني للإخوان المسلمين ونظرياتهم. وفي نفس المرحلة أي سبعينات القرن الماضي

◀ ترامب يرى في رئيس كوريا الشمالية الشيعوي الشعبوي خصماً لدوداً قد يخوض حرباً نووية للخصم عليه

## تيريزا ماي بدأت للتو عملية إحكام قبضتها على السلطة

● رئيسة وزراء بريطانيا غير المنتخبة تسعى لتوسيع نفوذها عن طريق انتخابات مبكرة

استفتاء بريكت من الناخبين اختزال جملة من الأشياء المعقدة في ثنائية فجة تتلخص في البقاء أو المغادرة. وخلف ذلك انقسام وترنح العائلات والجاليات وحتى الاتحاد. وبعد قرابة سنة ثبت أنه من الصعب شفاء الجروح التي تسبب فيها استفتاء بريكت في جو يلفه الضباب بسبب تناقض متواصل بين الكلام والواقع. إن تغيير رأي ماي يعتبر أمراً مفاجئاً لكنه اليوم يبدو اعتيادياً أكثر من كونه أمراً صادماً. الآن أمام المملكة المتحدة تصويت آخر يراه الكثيرون أنه يتخذ شكل

القس، وهي من المفترض بأنها مدركة أنها على وشك الدعوة إلى انتخابات، على معنى «تجمع الناس معاً والوقوف صفاً واحداً خلف الفرص المستقبلية».

في بريطانيا في عهد بريكت كثيراً ما يتم استخدام مفهوم الوحدة لإخفاء واقع الانقسام. وأنشاء إثارة بند 50 من قانون الاتحاد الأوروبي رسمت ماي نظرة للمملكة المتحدة متفائلة، وهي غاية مثلى قوضتها هي نفسها بحدة عن طريق الإحساس بالحاجة إلى الدعوة إلى انتخابات مبكرة. لقد طلب

انتقدت الكاتبة البريطانية أيزبيل طمسون في تحليل نشره موقع فانيتي فير إعلان رئيسة الوزراء تيريزا ماي عن خطتها لتنظيم انتخابات مبكرة في البلاد، مشيرة إلى أن تيريزا ماي التي تعمل بأغلبية ضعيفة من المرجح أنها تشجعت بنتائج استطلاعات الرأي الأخيرة التي تضع حزبها في وضع متقدم على حزب العمال برئاسة جيرمي كوربين بواحد وعشرين نقطة لتقدم على خطوة ستزيد من الانقسامات في البلاد.

□ لندن - في خطاب ألقته خارج مبنى الحكومة داونغ ستريت الثلاثاء أعلنت رئيسة الوزراء تيريزا ماي عن خطتها لتنظيم انتخابات عامة في الثامن من يونيو. وبرتت قرارها بدافع الحاجة إلى تأمين الاستقرار السياسي في بريطانيا وهي تقرب من الخروج من الاتحاد الأوروبي.

وقالت «نحتاج انتخابات عامة ونحتاج هذه الانتخابات الآن. لم أتوصل إلى هذه النتيجة إلا مؤخرًا وعلى مضض لكنني الآن استنتجت أنها الطريقة الوحيدة لضمان الاستقرار في السنوات القادمة».

منذ أصبحت رئيسة وزراء أكتد ماي مرارا وتكرارا أنها لن تدعو إلى انتخابات عامة قبل سنة 2020، حيث قالت في مقابلة مع قناة بي.بي.سي حريفياً «لن أدعو إلى انتخابات مبكرة. كنت واضحة جداً بخصوص اعتقادي بأننا نحتاج تلك الفترة من الزمن، الاستقرار، لنتمكن من التعامل مع قضايا تواجهها البلاد ونجري تلك الانتخابات في 2020».



انقسام جديد

المعارضة التي تتشغل «باللعب السياسية» تعد إلى عرقلة محاولات حكومتها للشروع في إجراءات الخروج من الاتحاد الأوروبي، «لقد هدد حزب العمال بالتصويت ضد الاتفاق النهائي الذي نتوصل إليه، وقال إن الديمقراطيين الليبراليين يريدون إيقاف أعمال الحكومة. وتوعد أعضاء مجلس الشيوخ غير المنتخبين بمحاربتنا في كل خطوة من الطريق».

بمقتضى ما ينص عليه «قانون البرلمان ذات الفترة المحددة»، لا يمكن لماي أن تدعو إلى إجراء انتخابات مباشرة بل يتوجب عليها تقديم مقترح إلى مجلس العموم يحتاج إلى أصوات ثلثي أعضاء البرلمان. تيريزا ماي التي لم تنتخب وتعمل بأغلبية ضعيفة لا تتجاوز 17 بالمئة من المرجح أنها تشجعت بنتائج استطلاعات الرأي الأخيرة التي تضع حزبها في وضع متقدم على حزب العمال برئاسة جيرمي كوربين بواحد وعشرين نقطة.

جاء إعلان ماي بعد أيام فقط من رسالة عيد الفصح التي ألقته وفيها قالت إن القيم المسيحية للبلد «يمكنها ويجب أن تجمع بيننا». في مقطع فيديو طوله ثلاث دقائق نشر على موقع يوتيوب شددت ابنة

القرار يخبرك «بكل ما تحتاج معرفته».